Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأحلام ، وانطفاء الآمال ، وسودت حياته قسوة الشعور بالفشل . وتيقن أن سيف الدولة لن يمنحه ولاية ، ولن يمكنه من تحقيق هدفه الأول في الحياة . ولذلك اتخذ قرار الانفصال عنه ومغادرته . وكان هذا هو التحول النفسي الثالث في حياة أبي الطيب الباطنية . وهو أقسى تحول نفسي صادفه في حياته .

وأحس بعد هذا الغضب الهادر بالراحة والسكون والاستسلام الحزين . وخصوصاً بعد أن استقر رأيه على أن يغادر سيف الدولة . وشعر باليأس الحائر . والضياع الممتد وتجلى ذلك في المشهد الأخير الذي كان بمثابة القرار للقصيدة كلها . فقد اختلطت في هذا المشهد كل المشاعر التي عبر عنها بحدة وعنف في كل المشاهد الماضية ، مع إحساس جديد طرأ عليه فجأة ، بعد قراره الارتحال عن سيف الدولة . وهو هذا الشجن لهذا الفراق . ولهذا بدأ هذا المشهد الأخير بهذا البيت الممض الدامع العميق الشجي للفراق :

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

كل شيء يتحول إلى العدم .. الحياة والناس والأحلام والآمال ، وتأمل شحنة الشجن في الشطر الأول « يا من يعز علينا أن نفارقهم » . ومع أنه لم يلجأ إلى التصوير في هذا البيت كله ، وإنما عبر تعبيراً ساذجاً فطرياً عن كل أحزانه ، فإننا نحس بأن هذا البيت وصل إلى ذروة النضج الفني ، والتأثير العاطفي ، ولعل هذا يثير قضية من أهم قضايا الإبداع الفني . وهي العبقرية في الفن . وبدون التعرض للإجابة عن هذا التساؤل ، فإنني أعتقد أن انشغالنا بتحليل العمل الفني واختبار صوره وتعبيراته ، ومقاطعه وحقائقه الفكرية والروحية وارتباطها عضوياً بقيمه التصويرية والتعبيرية ، ليس إلا اشتغالاً بظواهر العمل الفني ، وسيبقى جوهره سراً من أعمق أسرار الموهبة الفنية يستعصي على التحليل والتعليل . ومما يؤكد هذه الفكرة ، ما نحسه حيال هذا البيت الخالي من الزركشة اللفظية ، والتركيب البياني ، ومع ذلك يتسرب إلينا ويسري في كياننا فيهز النفس هزاً ويثير أعمق ألوان الحزن والشجن .

ولعله أصاب الشاعر أيضاً بكل هذا فوهنت مقاومته ، واختلطت أفكاره . وتحول المشهد الأخير من تلك القصيدة إلى مجرد معان متداعية ليس بينها رباط منطقي صارم ، حتى لنشهد مشهداً مُفَكَّكاً فيه كل عناصر المشاهد السابقة . ولكن بصورة أخرى . ففيه عتاب جياش لسيف الدولة ومكاشفة له بأنه أهمله وأبعده عن قلبه . وكان أحق بتكريمه ومكافأته .